السّيرةُ النّبويّة للبراعم

(١٥)

الوُقُوفُ فِيْ وَجْهِ الدَّعْوَةِ!

الدكتور
محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

فَكَيْفَ نَصُدُّ مُحَمَّداً ﷺ ؟

وَاقْتَرَحَ أَحَدُ كِبَارِ قُرَيْشٍ وَسَادَاتِهَا أَنْ يُرْسِلُوا إِلىٰ رَسُوْلِ الله ﷺ عَدَداً مِنْ أَكابِرِهِمْ وَحُكَمَائِهِمْ ؛ لِيَسْتَمِعُوا إِلىٰ مَا يَقُوْلُ ، وَلِيُنَاقِشُوْهُ فِي ذَلِكَ .

فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ الوَلِيْدَ بْنَ المُغِيْرَةِ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ ؛ رَاحَ الرَّسُولُ صَلَواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْه يَقْرَأُ عَلَيْهِ شَيْئاً مِنَ القُرْآنِ ، فَكَأَنَّه رَقَّ لَهُ .

فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا جَهْلٍ ؛ فَأَتَاهُ ، فَقَالَ : يَا عَمُّ ، إِنَّ قَوْمَكَ يَرَوْنَ أَنْ يَجْمعُوا لَكَ مَالاً .

قَالَ : وَلِمَ ؟

قَالَ : يُعْطُوْنَكَهُ ، فَإِنَّكَ أَتَيْتَ مُحَمَّداً تَتَعَرَّضُ لِمَا قِبَلَهُ .

فَقَالَ الوَلِيْدُ : قَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ : أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالاً .

قَالَ : فَقُلْ فِيْهِ قَوْلاً يَبْلُغُ قَوْمَكَ أَنَّكَ مُنْكِرٌ لِمَا قَالَ ، وَأَنَّكَ كَارِهٌ لَهُ .

فَقَالَ الوَلِيْدُ : وَمَاذَا أَقُوْلُ يَا أَبَا الحَكَم ؟! فَوَاللهِ! مَا فِيْكُم رَجُلٌ أَعْلَمُ بالأشْعَارِ مِنِّي ، وَلا أَعْلَمُ بِرَجْزِهِ ، وَلا بِقَصِيْدِهِ منِّي ، وَلا بِأَشْعَارِ الجِنِّ ، وَاللهِ! مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُوْلُ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ ، وَوَاللهِ! إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذيْ يَقُوْلُ حَلاوَةً ، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلاوَةً[1] ، وَإِنَّه لَمُثْمِرٌ أَعْلاهُ ، مُغْدِقٌ[2] أَسْفَلُهُ ،

---

(١) هي : الحسْنُ والرَّونق .

(٢) أي : مُخْصِب .

وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَلا يُعْلَىٰ عَلَيْهِ ، وَإِنَّه لَيَحْطِمُ مَا تَحتَهُ .

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : لا يرضىٰ عنك قَوْمُكَ حَتَّىٰ تَقُوْلَ فِيْهِ .

قَالَ : فَدَعْنِي حَتَّىٰ أُفَكِّرَ ، فَلَمَّا فَكَّر ، قالَ : هَذَا سِحْرٌ يُؤْثَر .

فَنَزَلَتْ : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا.. ﴾ الآيات[1] .

لَـٰكِنَّ ذَلِكَ الأُسْلُوْبَ لَمْ يَأْتِ بنَفْعٍ لِلْمُشْرِكِيْنَ أَبَداً ، بَلْ كان يَزْدَادُ يَوْمَاً بَعْدَ يَوْمٍ دُخُوْلُ النَّاسِ في الإِسْلامِ ؛ فَمَاذَا يَفْعَلُونَ ؟!

* * *

---

(١) سورة المدثر : ١٩ ومَا بَعْدَها .

فَلْنُطَلِّقْ بَنَاتِهِ ﷺ!!

وَلَمَّا لَمْ تَنْجَحِ الوَسَائِلُ العَادِيَّةُ في الصَّدِّ ؛ قَالَ أَحَدُهُم : فَلِمَاذَا لا نُؤْذِيْهِ في أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ ؟

قَالُوا : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟

قَالَ : نَعْمَدُ إلى تَطْلِيْقِ بَنَاتِهِ ، فَقَدْ يَكُوْنُ ذَلِكَ وَسِيْلَةً لِلضَّغْطِ عَلَيْهِ!

وَكَانَ الرَّسُولُ ﷺ قَدْ زَوَّجَ عُتْبَةَ بْنَ أَبي لَهَبٍ رُقَيَّةَ ، وَزَوَّجَ عُتَيْبَةَ أَخَاهُ أُمَّ كُلْثُومٍ .

فَلَمَّا أَنْزَلَ الله عَلَيْهِ قَوْلَه : ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[1] قال أَبُو لَهَبٍ لابْنَيْهِ عُتَيْبَةَ ، وَعُتْبَةَ : رَأْسِيْ وَرُؤُوسُكُمَا حَرَامٌ إِنْ لَمْ تُطَلِّقا ابْنَتَيْ مُحَمّدٍ!

فما كَانَ مِن عُتَيْبَةَ إلا أَنْ أَخَذَ أُمَّ كُلْثُومٍ إِلىٰ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ بِيَدِهَا ، وَهُنَاكَ قَالَ : لَقَدْ كَفَرْتُ بِدِيْنِكَ ، وَفَارَقْتُ ابْنَتَكَ ؛ لا تُحِبُّنِي ، وَلا أُحِبُّك!!!

وَأَمَّا عُتْبَةُ فَقَال : لاَ أُطَلِّقُهَا حَتَّىٰ تُزَوِّجوني بِبِنْتِ أَبَانَ بْنِ سَعِيْدٍ ، أَوْ بِنْتِ سَعِيْد بْنِ العَاص .

فَزَوَّجُوه بِنْتَ سَعِيْد بْنِ العَاصِ ، وفَارَقَ أُمَّ كلْثُومٍ ، فَأَكْرَمَها اللهُ سُبْحَانَهُ بِأَنْ تَزَوَّجَها عُثْمَانُ ابْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

---

(١) سورة المسد : ١ .

المُسَاوَمَاتُ

وَلَمَّا رَأىٰ المُشْرِكُوْنَ : أَنَّ أُسْلُوْبَ الضَّغْطِ عَلَى النَّبيِّ صَلَواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عليه ، وَخَاصَّةً عَنْ طَرِيْقِ الاسْتِهْزَاءِ ، وَمَا إلىٰ هُنَالِكَ لَمْ يُجْدِ نَفْعاً ؛ لجؤوا إِلَىٰ سِيَاسَةِ المُسَاوَمَاتِ .

فَيَرْوي ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما : أَنَّ زُعَمَاءَ قُرَيْشٍ وَعَدُوا رَسُوْلَ اللهِ ﷺ أَنْ يُعْطُوْهُ مَالاً ، فيَكُونَ أَغْنَىٰ رَجُلٍ بِمَكَّةِ ، وَيُزَوِّجُوه مَا أَرَادَ مِنَ النِّسَاءِ ، فَقَالُوا : هَذَا لَكَ عِنْدَنَا يَا مُحَمَّدُ!

وَكُفَّ عَنْ شَتْمِ آلِهَتِنَا فَلا تَذْكُرْهَا بِسُوءٍ ، فَإِنْ

لَمْ تَفْعَلْ ؛ فَإِنَّا نَعْرِضُ عَلَيْكَ خَصْلَةً وَاحِدَةً هِيَ لَكَ وَلَنَا فِيْهَا صَلاحٌ .

فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : « وَمَا هِيَ ؟ »

قالوا : تَعْبُدُ آلِهَتَنَا سَنَةً ، اللاَّتَ ، والعُزَّىٰ ، وَنَعْبُد إِلـٰهَكَ سَنَةً!

فَقَال عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلاَمُ : « حتَّىٰ أَنْظُر مَا يَأتِيَ مِنْ عِنْد ربِّي » .

فَهَبَطَ الأَمِيْنُ جِبْرِيْلُ بِقَوْلِ اللهِ تَعَالى : ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[1] .

---

(١) سورة الكافرون : ١ـ ٦ .

ثُمَّ تَلاهُ قَوْلُ الله تعالىٰ وَهُوَ يُخَاطِبُ خَاتَمَ الأَنْبِيَاءِ ﷺ : ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[1].

* * *

(١) سورة الأحقاف : ٣٥ .

فَمِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا الْكَلَامُ ؟!

ثُمَّ لجأَ المُشْرِكُونَ إِلىٰ وَسِيْلَةٍ أُخْرَىٰ ، وَهِيَ إِثَارَةُ الشُّبُهَاتِ حَوْلَ مَصْدَرِ القُرْآنِ الْكَرِيْمِ .

فَتَارَةً كَانُوا يَقُولُونَ لَهُ : هَذَا كَلامٌ مُقْتَبسٌ مِنْ تَـوْرَاةِ اليَهُـوْدِ ، وَإِنْجِيْـلِ النَّصَـارَىٰ ، وَتَـارَةً يَقُوْلُوْنَ : بَلْ هُوَ مِنْ كَلامِ أَحَدِ كُهَّانِ اليَمَامَةِ ، وَتَارَةً يَقُوْلُونَ : هُنَاكَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ الرَّحْمٰنُ ، هُوَ الَّذِيْ يُرْسِلُ إِلىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ تِلْكَ الآيَاتِ ، وَالأَحَادِيْثِ ، وَنَحْنُ لَنْ نُؤْمِنَ بِهِ وَلا بِذَلِكَ الرَّحْمٰنِ!!

وَقَدْ صَوَّرَ البَيَانُ الإِلَـهِيُّ كَذِبَهُمْ بِقَوْلِهِ :

﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾[1].

* * *

(١) سورة الرعد : ٣٠ .

شَيْطَانُ قُرَيْشٍ!!

وَفي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّام ، وَبَيْنَما كَانَ زُعَمَاءُ قُـرَيْـشٍ يَجْلِسُـونَ فـي فَنَـاءِ الحَـرَمِ المَكِّـيِّ ، يتبـاحثـون فـي عَـدَمِ جَـدْوَىٰ الأَسَـالِيْـبِ الَّتِـي اتَّبَعُوْهَا في الصَّدِّ عَنِ الدَّعْوَةِ الإسْلامِيَّةِ .

ومن أَهَمِّ الأَسَالِيْبِ الجَدِيْدَةِ لِذَلِكَ ؛ أَنَّ النَّضْرَ ابْنِ الحَارِثِ ـ وَكَانَ وَاحِداً مِنْ عُتَاةِ قُرَيْشٍ وَمِنْ شَيَاطِيْنِها ـ دَخَلَ الحَرَمَ قَادِمَاً مِنَ الحِيْرَةِ ، فَلَمَّا رَآهُ أَبُو جَهْلٍ ؛ قَامَ مُسْرِعَاً إِلَيْهِ وَمُرَحِّبَاً بِهِ . وَكَانَ مِمَّا قَالَ لَهُ : هَاتِ مَا عِنْدَكَ... هَاتِ مِمَّا تَعَلَّمْتَهُ مِنْ أَحادِيْثِ الفُرْسِ ، عَسَىٰ أَنْ نَسْتَطِيْعَ مُعَارَضَةَ مَا

جَاءَ بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ!!

وَقَهْقَهَ النَّضْرُ بِصَوْتٍ عَالٍ ، وَقَالَ : مَا عَلَيْكَ يَا أَبَا الحَكَمِ ، فَلَقَدْ تَعَلَّمْتُ أَحَادِيْثَ رُسْتُم وَاسفِنْدِيَار ، وَسَأَكْفِيْكُمْ أَحَادِيْثَ مُحَمَّدٍ .

وَمَا هِيَ إِلا لَحَظَاتٌ حَتَّىٰ جَاءَ المُصْطَفىٰ ﷺ وَمَعَهُ بَعْضَ أَصْحَابِهِ ، وَلَمَّا طَافُوا بِالْكَعْبَةِ ؛ رَاحَ الرَّسُول يُرَتِّلُ بَعْضَ الآيَاتِ القُرْآنِيَّةِ ، وَالنَّاسُ ـ بِمَا فِيْهِمْ الكُفَّارُ ـ يُنْصِتُوْنَ بِكُلِّ خُشُوْعٍ ، فَيَتَقَدَّمُ النَّضْرُ بْنُ الحَارِثِ إِلىٰ الرَّسُول ، وَيَقِفُ إِلىٰ جِوَارِهِ ، وَيَلْتَفِتُ إِلىٰ النَّاسِ ، وَيَقُوْلُ : بِمَاذَا مُحَمَّدٌ أَحْسَنُ حَدِيثاً مِنِّي ؟!

وَيَبْدَأ بِالْحَدِيْثِ عَنْ مُلُوكِ الفُرْسِ... وَنَحْوِ

ذَلِكَ... ، لَـٰكِنَّ القَوْمَ يَنْفَضُّونَ عَنْهُ!! وَيَهبِطُ الأَمِيْنُ جِبْرِيْلُ بِقَوْلِهِ تَعَالىٰ : ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا قَالَ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[1] .

وَآخِرُ دَعْوانا أنِ الحمدُ للهِ رَبِّ العَالمين

* * *

(١) سورة القلم : ١٥ .